بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق العباد لما شاء . ويسرهم لما خلقوا له على وفق علمه وإرادته . وصرفهم بمقتضى حكمته فمنهم شقى وسعيد . وهداهم النجدين فمنهم قريب وبعيد . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة . ومرشد الامة وكاشف الغمة . الذى نسخت شريعته كل شريعة وشملت دعوته كل أمة . فلم يبق لأحد حجة دون حجته . ولا استقام لعاقل طريق سوى واضح محجته . جمعت سنته تحت حكمتها كل معنى حكيم فلا يسمع بعد بيانها خلاف مخالف . ولا قول مختلف . من سلك سبيلها فهو على نور من ربه . وبصيرة من أمره . معدود في الفرقة الناجية . والمائل عنها واقع فى ظلمته . مرتبك فى حيرته . مردود الى الفرق المقصرة أو الغالية . وعلى آله وصحبه الذين اهتدوا بشمسه المنيرة . واقتفوا آثاره اللائحة : وأنواره الواضحة ومن احيا سنته . واهتدى بهديه ﴿ اما بعد ﴾ فهذا مختصر نفيس . ومهذب لطيف فى أصول البدع وفروعها . وأوهام العامة وعاداتها طبق مناهج التعليم فى قسم الوعظ والارشاد بالجامع الأزهر الشريف اقتصرت فيه على مالا بد منه لمن يتصدى لمحاربة البدع المذمومة . والعوائد القبيحة . وسلكت فيه سبيل الاعتدال فكان وسطا بين الافراط والتفريط ورتبته على مقدمة وبابين وخاتمة وسميته ﴿ الابداع فى مضار الابتداع ﴾ والله تعالي أسأل أن يجعله عملا خالصا . ويجعل ظل الانتفاع به ممدودا والاجر على العناء فيه كاملا ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

(مقدمة)

﴿ فى اخبار الصادق المصدوق بغربة الدين ﴾

والحث على التمسك بالكتاب والسنة

روى مسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه والنسائى عن ابى مسعود رضى الله

عنهما ان النبي ﷺ قال بدأ الاسلام غريبا(١) وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء) ورواه الطبراني وابو نصر في الابانة عن عبد الرحمن بن سنة بلفظ (ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قيل يارسول الله وما الغرباء قال الذين يصلحون عند فساد الناس) ٢ وفي روايه انه سئل عن الغرباء فقال (الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي) ٣ وجملة المقصود منه قد علم بالمشاهدة في أول الاسلام وآخره

وبيان ذلك ان الله تعالى بعث النبي صلوات الله وسلامه عليه على حين فترة من الرسل وفي جاهلية جهلاء . لاتعرف من الحق رسما . ولا تقيم له في مقام الحقوق وزنا بل كانت تنتحل ماوجدت عليه آباءها وما استحسنته أسلافها من الآراء المنحرفة . والمذاهب المبتدعة فحين قام فيهم صلوات الله وسلامه عليه بشيرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا عارضوا معروفه بالنكر . وغيروا وجه صوابه بالأفك . ونسبوا إليه اذ خالفهم في الشرعه . ونابذهم في النحلة كل محال ورموه ﷺ بانواع الزور والبهتان — وتارة يرمونه بالكذب وهو الصادق المصدوق الذي لم يجربوا عليه كذبا قط — وتارة يتهمونه بالسحر وهم يعلمون أنه لم يكن من أهله ولا ممن يدعيه — وآونة يقولون إنه مجنون وهم

---

(١) روايات الحديث بدأ بالفعل المبني للفاعل وضبطه الامام النووي بالهمز بناء على الرواية وهو من البدأ بمعنى الابتداء وكان غريبا لسبق الكفر عليه والتكرار الكفرة له وسيعود غريبا أي لغلبة الجهالة وكثرة الضلالة فكان في الزمان الاول كالغريب لايعرفه أحد وحتى تركه أهله وانصرفوا عنه عادت له الغربة — أو ان أهل الدين في الاول كانوا غرباء ينكرهم الناس ويقاطعونهم وكان حالهم مع اقاربهم اسوأ من حالهم مع الأجانب وسيكونوا كذلك في آخر الزمان (٢) أي أنهم صلحاء عاملون بالكتاب والسنة في زمان فساد الناس بعدم العمل بهما (٣) وفي رواية قالوا يارسول الله كيف يكون غريبا قال كما يقال للرجل في حي كذا وكذا أنه لغريب

لايشكون فى كمال عقله وسلامته من مس الشيطان وخبله — وإذا دعاهم الى توحيد الصانع الحكيم القادر العليم قالوا ﴿ أجعل الآلهة آلها واحدا أن هذا لشيء عجاب ﴾ مع الاقرار بمقتضى هذه الدعوة الصادقة عند الشدة ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ وأذا أنذرهم بطشة يوم القيامة انكروا مايشاهدون من الادلة على امكانه ﴿ وقالوا أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ﴾ وإذا خوفهم مقت الله وسخطه قالوا (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) اعتراضا منهم على صحة ما أخبرهم به مما كائن لامحالة . واذا جاءهم بآية خارقة افترقوا فى الضلالة على فرق واختلقوا فيها بمجرد العناد مالا يقبله أولوا التمييز بين الحق والباطل — واجتهدوا فى الانتصار لباطلهم بعلم فلم يجدوا اكثر من تقليد الآباء — وقد اخبر الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام فى محاجة قومه (ماتعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فحادوا كما ترى عن الجواب القاطع إلى ماذكروا من التقليد الأعمى فكذلك كان هؤلاء مع النبي صلوات الله وسلامه عليه . فأنكروا عليه ماتوقعوا معه انقضاء دولتهم وزوال مابأيديهم لانه خرج عن معتادهم وأتى بخلاف ما كانوا عليه من الكفر والضلال . وحاولوا أن يستنزلوه بطريق السياسة فى زعمهم ليظفروا منه بالموافقة ولو فى بعض الأوقات أو فى بعض الأحوال ويقنعوا منه بذلك ليبقى لهم بتلك الموافقة واهى بنائهم فأبى صلوات الله وسلامه عليه إلا الثبات على واضح الحق والتمسك بخالص الصواب وأنزل الله تعالى عليه (قل يا ايها الكافرون لااعبد ماتعبدون السورة) فلما يئسوا منه نصبوا له حرب العداوة ورموه بسهام القطيعة حتى صار أهل السلم كلهم حربا عليه وعاد الولى الحميم له عدوا لدودا . فأقربهم اليه نسبا كان أبعد الناس عن موالاته كأبى لهب واضرابه . وألصقهم به رحما كانوا أقسى قلوبا عليه . فأى غربة توازى

هذه الغربة — ومع ذلك فلم يكله الله تعالى إلى نفسه ولامكنهم من اغتياله بل حفظه الله وعصمه وتولاه بالرعاية والوقاية حتى بلغ دعوة ربه مصداق قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ان يقتلوك — ثم مازالت الشريعة الغراء فى اثناء نزولها تبعد بين اهلها وبين غيرهم وتضع الحدود بين حقها وباطلهم لكن على وجه من الحكمة عجيب وهو التأليف بين احكامها وبين اكابرهم فى أصل الدين الاصيل

فى العرب نسبتهم الي أبيهم ابراهيم عليه السلام . وفى غيرهم لانبيائهم المبعوثين فيهم كقوله تعالي بعد ذكر كثير من الأنبياء

(أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) وقوله عز وجل (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) ومازال صلوات الله وسلامه عليه يدعو الي الشريعة فيأتى اليه الواحد بعد الواحد على طريق الاختفاء خوفا من اعتداء الكفار أيام ظهورهم على دعوة الاسلام فلما علموا المخالفة أنفوا وقاموا وقعدوا — فمن اهل الاسلام من لجأ الي قبيلة فحموه على اغماص أو خشية العار فى الاخفار والجوار — ومنهم من هاجر فرارا بدينه من الفتنة باشتداد الاذى وتوقع القتل من اجله — ومنهم من لم يكن له وزر يحميه ولاملجأ يركن اليه فلقى منهم من الشدة والغلظة وانواع التعذيب والقتل مالا تحتمله الجبال الراسيات حتى زل منهم من زل وبقى منهم من بقى صابرا محتسبا الي أن أنزل الله تعالي الرخصة فى التلفظ بكلمة الكفر على وجه الموافقة ظاهرا فلجأ اليها من لجأ على حكم الضرورة والوقاية لنفسه ربما يتنفس من كربه ويتروح من خناقه وقلبه مطمئن بالايمان وهذه أيضا غربة - وانما فعل هولاء البعداء الاعداء مافعلوا جهلا منهم بمواقع الحكمة وان ماجاء به النبي صلوات الله وسلامه عليه هو الحق ضد ماهم عليه (فمن جهل شيئا عاداه) ولو تعقلوا الامر وعلموه لحصل الوفاق ولم يسمع الخلاف - ثم استمر تزايد الاسلام واستقام طريقه مدة حياة النبي ﷺ ومن بعد موته

واكثر قرن الصحابة رضى الله عنهم اجمعين الي ان نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة واصغوا إلي البدع المضلة كبدعة القدر وبدعة الخوارج . الامر الذى تنبأ به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بقوله (يقتلون أهل الاسلام ويدعون اهل الأوثان يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم)١ ثم لم تزل الفرق تكثر حسبما وعدبه الصادق ﷺ في قوله (افترقت اليهود علي أحدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة) وقوله فى مارواه ابوسعيد الخدري رضى الله عنه (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن)٢ والحديث الاول خاص بأهل الاهواء والثانى عام فى المخالفات بدليل قوله (حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم) وكل صاحب بدعة من شأنه ان يدعو غيره اليها ويحض سائليه بل سواه عليها اذ طلب التأسى فى الاعمال والمذاهب امر جبلى فى بني الانسان

ومن هنا ينشأ الخلاف وتقع العداوة والبغضاء بين المتمسكين والخارجين وكان الاسلام فى ابان نشأته وعنفوان شبابه مقاوما بل ظاهرا واهله غالبين وسوادهم اعظم الاسودة فخلا من وصف الغربة بكثرة الاهل والاولياء الناصرين . ولم يكن لسواهم ممن لم يسلك سبيلهم أو سلكه ولكنه ابتدع فيه صولة تخشى ولا قوة يضعف امامها حزب الله المفلحون فسار الاسلام على استقامة وجري على اجتماع وقوة . فالشاذ عنه مقهور مضطهد . والمخالف له منبوذ مقاطع الى أن اخذ اجتماعه فى الافتراق الموعود وقوته الى الضعف المنتظر وأخذ الشاذ عنه تقوى صولته . والمخالف يكثر سواده (ولا شك إن الغلبة للقوي) فتكالبت على سواد السنة البدع والاهواء٣

---

(١) أي لا يتفقهون فيه بل يأخذون بظاهره وكل هذا في آخر عهد الصحابة

(٢) أى غيرهم كما في رواية أخرى

(٣) من حكم الامام على رضى الله عنه لاقيام للباطل الا في غفلة الحق

فتفرق اكثرهم شيعا وهذه سنة الله فى خلقه أن أهل الحق فى جانب اهل الباطل قليل قال تعالى (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وليتحقق ما أخبر به الصادق صلوات الله وسلامه عليه من عود وصف الغربة اليه فان الغربة لاتكون الامع فقد الاهـل أو قلتهم . وذلك حين يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وتصير السنة بدعة والبدعة سنة وتقوم الناس على اهل السنة باللوم والتعنيف والتوبيخ والتقبيح ـ كما كان يقام على اهل البدعة . طمعا من المبتدعة ان تجتمع كلمة الضلال ويأبى الله ان تجتمع حتى يأتى وعد الله . فلا تجتمع الفرق كلها على كثرتها على مخالفـة السنة كما لا يخفى على من عرف حياة الاسـلام وتطوراته الى اليوم بل لابد أن تثبت جماعة على كتاب الله وسنة رسوله حتى يأتى امر الله غير أنهم لكثرة ماتناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء استدعاء الى موافقتهم لايزالون فى جهاد ونزاع ومدافعة وقراع. وبذلك يضاعف الله لهم الاجر الجزيل ويثيبهم الثواب العظيم

وعلى الجملة فكتاب الله وسنة رسوله لم يترك فى سبيل الهداية قولا لقائل ولا ابقيا لغيرهما مجالا يعتد به فيه وأن الدين قد كمل والسعادة الكبرى فيما وضع وكل مطلوب فيما شرع وما سوى ذلك مما خالفهما فضلال وبهتان . وافك وخسران . وان العاقد عليهما بكلتا يديه متمسك بالعروة الوثقى . ظافر بكل الخير دنيا وأخرى . قام على صحة ذلك البرهان الذى لا شبهة فيه ـ ولكن من ألزم نفسه السير مع الجماعة التى سماها رسـول الله ﷺ بالسـواد الاعظم فى الوصف الذى كان عليه هو وأصحابه . وتجنب البدع التى بينها العلماء . وأراد الاستقامة على الطريق القويم وجد نفسه غريبا بين أهل الوقت . لأن العوائد قد غلبت على أمورهم والمحدثات قد زاحمت السنن الأصلية . وقد كان ذلك فى الازمنة المتقدمة فكيف فى زماننا هذا وقد بعد عهد الناس بالنبوة ـ روى عن ابى الدرداء أنه قال لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه الا الصلاة . قال الاوزاعى فكيف

لو كان اليوم ـ قال عيسى بن يونس فكيف لو أدرك الاوزاعى هذا الزمان وعن أنس بن مالك قال ما أعرف منكم ما كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ غير قولكم لا إله الا الله قلنا بلى يا أبا حمزة قال قد صليتم حتى تغرب الشمس افكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ الى غير ذلك من الآثار الدالة على ان البدع تغلب على المشروعات وان ذلك قد كان قبل زماننا وقد استفحل امرها على توال الايام الى اليوم ـ والسعيد الموفق من احيا السنة ودعا الى الله عز وجل ـ وخالف ما اعتاد الناس وان ادعوا أن ماهم عليه هو السنة لاسواها غير مبال بما يرمونه به من التنطع فى العمل والتشدد فى الدين فذلك قليل من كثير كان يقاسيه الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر المتمسكون بدين الله من التشنيع والتقبيح وضروب الاذى والتعنيف فقد نقل عن سيدى (اويس القرنى) أنه قال ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يدعا للمؤمن صديقا. تأمر بالمعروف فيشتمون أعراضنا ويجدون على ذلك اعوانا من الفاسقين حتى والله لقد رمونى بالعظائم وايم الله لا أدع ان أقوم فيهم بحقه ـ فمن هنا يرجع الاسلام غريبا كما بدا لان المتمسك به على حاله الاول معدوم أو قليل والمخالف له هو الكثير فلم يبق من الدين الا اسمه ومن العمل الا رسمه وظهر مصداق الحديث الصحيح نسأل الله تعالى التوفيق والهداية بمنه وكرمه

واما الحث على التمسك بالدين واحياء السنة فاعلم ان من أمعن النظر فيما شرعه الله لنا مما تضمنه الكتاب وبينته السنة علم ان النبى صلوات الله وسلامه عليه تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها . لايحيد عنها الا من قد مرض قلبه. وطاش فى مهاوى الضلال لبه . فان الله تعالى قد بين للناس قواعد الدين وا كملها قال تعالى (اليوم ا كملت لكم دينكم) بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد

فأذا كان الله سبحانه قد اكمل لنا الدين بما انزله فى كتابه العربى المبين وعلى لسان نبيه الامين . مما بلغ من الاحكام . وبين لنا من حلال وحرام

فمن اتبع غير سبيل المؤمنين فهو الحقيق بهذا الوعيد الشديد قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)ـ وقال تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) ما تركنا وما اغفلنا شيئا يحتاج اليه من الاشياء المهمة فقد نفى سبحانه التقصير فيما شرع عن كتابه الحكيم الذى هو متن للسنة — وقد امر الله تعالي باتباع سبيله وما شرع من الدين القويم ونهى عن اتباع خير سبيل المؤمنين ـ

فقال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) فحث سبحانه على اتباع سبيله الذي هو الكتاب والسنة حثا مقرونا بالنهى عن اتباع السبل مبينا أن ذلك سبب للتفرق ولذا ترى المسلمين العاملين قد لزموا سبيلا واحدا أمروا بسلوكه وأما أهل البدع والاهواء فقد افترقوا فى سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة (كل حزب بما لديهم فرحون) وقدورد عن ابن مسعود رضى الله عنهما قال خط رسول الله ﷺ خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله وقال هذه السبل المتفرقة وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو ثم قرأ هذه الآية (حتى بلغ تتقون) وقال تعالى (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول) قال العلماء معناه الى الكتاب والسنة فامر سبحانه برد الامر حالة النزاع الى كتابه العزيز وسنة نبيه ففى حالة الوفاق أولي وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فقد جعل سبحانه وتعالي علامة محبته اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام فمن لم يتبع الرسول وادعى محبة الله تعالى فهو كاذب فى دعواه فأن عصيان الرسول عصيان لله تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وعصيان الله تعالى ينافى محبته

تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

ثم رتب علي اتباع الرسول حب الله تعالي ورضاه ومثوبته فالخير فى اتباع الرسول والشر كل الشر فى مخالفة سنته وكيف لا ونبينا صلوات الله وسلامه

عليه هو المبلغ للكتاب الناطق بالحق والصواب (وما ينطق عن الهوى) وقال تعالى (وأنك لتهتدى الى صراط مستقيم صراط الله) وقال تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)

فاذا الواجب علينا معاشر المسلمين اتباعه فى جميع أقواله وأفعاله . والتأسى به فى سائر احواله قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) وما اخبث رجلا ترك سبيل السنة الشارحة للكتاب . واستبدل العذب بالعذاب (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) وقال تعالى (واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحمل وعليكم ماحملتم وان تطيعوه يهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين) وسر تكرير الفعل الدلالة على أن مايأمر به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تجب طاعته فيه وان لم يكن مأمورا به بعينه في القرآن فتجب طاعة الرسول مفردة كما تجب مقرونة بأمره سبحانه فهو اذاً مستقل بالطاعة كما ورد عنه ﷺ أنه قال (يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يأتيه الامر من أمرى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ماوجدنا فيه من شىء اتبعناه الى وأنى قد أوتيت الكتاب ومثله معه — وقوله تولوا بحذف أحدى التاءين عام لمن يقع عليه الخطاب من عباده — والمعنى انه قد حمل أداء الرسالة وتبليغها وحملتم طاعته والانقياد له والتسليم . ففي صحيح البخارى عن الزهرى فان تطيعوه فهو حظكم وسعادتكم وان لم تطيعوه فقد ادى ماحمل وما عليه الا البلاغ — وحكى الامام الشافعى رضى الله عنه اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أن من استبانت له سنة الرسول ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول احد وهو كلام حق لا يستراب فيه وكيف تترك نصوص الشارع المعصوم ويؤخذ بأقوال غيره ممن يجوز عليه الخطأ فان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه والآيات فى هذا الباب كثيرة

واما الاحاديث فعن أبى نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت (١) منها العيون فقلنا يارسول الله

(١) بالذال وفتح الراء من باب ضرب سالت أى لما تأثرت القلوب ظهر ذلك في العيون فجرى الدمع

كأنها موعظة مودع فاوصنا قال . أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ(١) وايا كم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة رواه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح — فقد أوصانا صلوات الله وسلامه عليه بلزوم سنته وسنة خلفائه الراشدين الذين هم على طريقته وحرض على ذلك بقوله عضوا عليها بالنواجذ وعن ابى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال . من تمسك بسنتى عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد . رواه الطبرانى والبيهقى وعن عابس ابن ربيعة قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقبل الحجر يعنى الاسود ويقول انى اعلم انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا انى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك متفق عليه. وروى الحاكم عنه ﷺ انه خطب فى حجة الوداع فقال. ان الشيطان قد يئس ان يعبد بارضكم ولكن رضى ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا انى تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فان تضلوا ابدا كتاب الله وسنة نبيه وعن أنس رضى الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ يابنى ان قدرت ان تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يابنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد احبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة رواه الترمذى وقال حديث حسن وقال فى الشفاء وشرحه (قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالي سن رسول الله صلى الله عليه وعلي آله وسلم وولاة الامور) يعنى الخلفاء الراشدين(بعده سنا الاخذ بها تصديق لكتاب الله) اي حيث قال وما اتاكم الرسول فخذوه (واستعمال لطاعة الله) اى فى طاعة رسوله لقوله تعالي من يطع

---

(١) الاضراس وقيل الانياب والعض المسك بجميع الفم والنهش المسك بمقدم الاسنان فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول الزموا السنة واحرصوا عليها كما يحرص العاض على الشئ بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته

فقد اطاع ـ وقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى (وقوة على الدين) اى على كمال ملته وجمال شريعته (ليس لأحد تغييرها) بزيادة او نقصان فيها (ولا تبديلها) بغيرها ظنا انه احسن منها (ولا النظر فى رأى من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم وسأت مصيرا) وقال علي رضى الله عنه لم اكن ادع سنة رسول الله ﷺ لقول احد من الناس وقال انى لست بنبي ولا يوحى الى ولكنى اعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ما استطعت ـ وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به الا عملت به انى اخشى أن تركت شيئا من امره ان ازيغ) اه باختصار

والموفق السعيد من انتظم فى سلك من احيا سنة وأمات بدعة فكن (ياأخى) اياه فقد كثرت البدع وعم ضررها واستطار شررها ودام الأنكباب على العمل بها مع السكوت عن الانكار لها حتى صارت كأنها سنن مقررات وشرائع من صاحب الشرع محررات . فاختلط المشروع بغيره وعاد المتمسك بمحض السنة كالخارج عنها كما سبق . فتأكد وجوب الانكار على من عنده فيها علم ولايهولنه ان المتعرض لهذا الامر اليوم فاقد المساعد عديم المعين : فالموالى له يخلد به الى الارض . ويمد له يد العجز عن نصرة الحق بعد رسوخ البدع فى النفوس والمعادى يصوب اليه سهام الطعن ويرميه بمقذ وفات الاذى . لانه يحارب عاداته الراسخة فى القلوب ويقبح بدعه المألوفة فى الاعمال دينا يتعبد به . ومذهبا خامسا يدين الله عليه لاحجة له عليها سوى عمل الاباء والاجداد . مع بعض من ينتسب الى العلم أكانوا من اهل النظر فى هذه الامور ام لا ولم يفقهوا أنهم بموافقتهم للأباء وهؤلاء الادعياء مخالفون لكتاب الله وسنة رسول الله والسلف الصالح من بعده ـ فالمتعرض لمثل هذا الامر ينحو نحو عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى العمل حيث قال .

الا وانى اعالج أمرا لا يعين عليه الا انه قد فنى عليه الكبير وكبر عليه الصغير وفصح عليه الاعجمى وهاجر عليه الاعرابى حتى حسبوه دينا لا يرون الحق غيره . وكذلك ما عليه الناس اليوم

غير انه أمر لا سبيل الى اهماله ولا يسع احدا من ذوى الغيرة على الدين الا الأخذ بالحزم والعزم فى بيان الشريعة للناس ونصر السنة ومناهضة البدعة . وان كره المخالف فكراهيته لا حجة فيها على الحق . وان لله تعالى عند كل بدعة كيد بها الاسلام وليا يذب عنها وينطق بعلامتها فعن الحسن انه قال . لن يزال لله نصحاء فى الارض من عباده يعرضون اعمال العباد على كتاب الله فاذا وافقوه حمدوا الله واذا خالفوه عرفوا بكتاب الله ضلالة من ضل وهدى من اهتدى فاولئك خلفاء الله

فاغتنم أيها الموفق هذه المنقبة وكن من أهلها فان النبى صلوات الله وسلامه عليه قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن فأوصاه وقال .(١)(لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من كذا وكذا) وأعظم القول فيه رواه غير واحد من طرق صحيحة . فسارع الى الخير وادع الى الله وسنة رسوله واعمل على بصيرة ونية حسنة بالرفق واللين عسى ان يرد الله بك المبتدع الضال والزائغ المفتون ويهدى بك الجاهل الحائر فتكون وارثا نبويا وخلفا من نبيك صلوات الله وسلامه عليه

وصفوة القول ان ماتقدم من الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة والآثار الحكيمة يدعو الى اتباع الكتاب والسنة فانهما الأمامان اللذان امرنا بالاقتداء بهما والداعيان الى سبيل الله . فاشدد يديك عليهما ولا تنظر الى ما عليه الناس من البدع والاهواء فانه من اضر الادواء . واسلك سبيل الحق ولا تستوحش من قلة أهله وسيأتيك تفاصيل البدع بأنواعها وما ورد فى النهى عنها ان شاء الله تعالى . واعلم ان اصل الاتباع المخرج عن الابتداع يحصل بمتابعة العبادات . ولا يحصل كمال الاتباع الا بالاقتداء برسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى جميع

(١) وعن سهل بن سعد ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى رضى الله عنه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم . متفق عليه

حالاته. عباداته وعاداته. سكونه وحركاته. وللسلف الصالح من هذا الكمال المشرب الاصفى والحظ الوافر الاوفى . أذاقنا الله تعالى حلاوة الاتباع . ووقانا بفضله شر الفضول والابتداع آمين

ثم ان الناظرين فى امر البدع منهم من بحثها بحثا أصوليا فرجع بها الى الاصول والقواعد ووفاها حقها من هذه الجهة ثم ذكر بعض التفريعات عن هذه الأصول وما لم يذكره منها يعلم مما ذكره بطريق المقايسة كالعلامة المحقق الأصولى البارع الامام الشاطبى فى كتاب الاعتصام — ومنهم من عمد الى الفروع ونظر فيها من جهة موافقتها للسنة ومخالفتها وترك الكلام عليها من جهة القواعد رأسا كالعلامة ابن الحاج فى كتاب المدخل جزى الله كلا الفريقين عن الدين والسنة خير الجزاء

ولقد رأينا بعد امعان النظر فى هذه المراجع ان التكلم على امر البدع والسنن فى حاجة شديدة الى الامرين وحاجته الى الاصول والقواعد اشد لهذا ذكرنا فى هذا المختصر مالا بد منه المرشد من هذه الأصول ومايتفرع عنها ليكون فى محاربة البدع على بصيرة وبالله تعالى التوفيق وهو الملهم للصواب

(القول في تعريف البدعة ومعناها وما تصرف منه)

قال المحقق الامام الشاطبى فى الأعتصام ما ملخصه اصل مادة (بدع) للاختراع على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى (بديع السموات والارض) أى مخترعهما من غير مثال سابق . وقوله تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى ما كنت اول من جاء بالرسالة من الله الى العباد بل تقدمنى كثير من الرسل . ويقال ابتدع فلان بدعة اذا ابتدأ طريقة لم يسبق اليها . وهذا امر بديع يقال فى الشىء المستحسن . الذى لامثال له فى الحسن ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هى البدعة وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة

فمن هذا المعنى سمى العمل الذى لادليل عليه من الشرع بدعة . وهو اطلاق